رسالة ذمّ لذّات الدنيا

فخر الدين الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، المصوِّر الصمد، السلام السرمد، لا عُدَد له ولا عَدَدٌ، ولا حدّ لدوامه[1] ولا أمدٌ، ولا كسر لعسكره ولا مددٌ. له العلوُّ والإكرام، والسموُّ والدوام. إكرامه حصّل كلّ مُراد ومرام، وطَوله سهّل الحلالَ وحرّم الحرامَ. أمرُه أدار السماكَ الرامح، وحُكمُه أحكَمَ مُبهَمَّ السرِّ[2] الطامح. إعلامه أوصل إلى كلّ سرورٍ، وإلهامه عمَر صدرَ كلِّ مكسورٍ. ثمّ الصلاة على أفاضل خلقه في السموات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمدٍ نبيّ الرحمة وإمام العصمة والكرامة[3].

أمّا بعد، فقد سألتَني عن أحوال اللذّات المطلوبة في الدنيا، والكشفَ عن حصرِ أقسامها، وبيانَ ما فيها من الخيرات واللذّات[4] والراحات والآفات والمخافات. فكتبتُ لك هذا المختصر على سبيل الارتجال. ومن الله التوفيق في جميع الأحوال[5].

وأقول: إنّ اللذّات المطلوبة في هذه الحياة العاجلة محصورةٌ في أقسام ثلاثة. فأدونها هي اللذّات الحسّيّة، وهي قضاء الشهوتين. وأوسطها اللذّات الخياليّة، وهي اللذّات الحاصلة من الاستعلاء والرئاسة. [م: ١١١أ] وأعلاها اللذّات

---

[1] م: له.

[2] م: النسر.

[3] س: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على أفضل خلقه في السماوات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمّدٍ وآله، نبيّ الرحمة، وإمام العصمة والكرامة".

[4] سقطت من س، م.

[5] في ل زيادة: قال رضي الله عنه.

العقليّة، وهي[٦] اللذّات[٧] الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها. فهذا ضبطٌ حَسَنٌ معقولٌ[٨] في هذا الباب.

وأيضاً، فسُعود[٩] الإنسانِ في أوّل الأمر إنما يحصل بهذه اللذّات الحسّيّة. ثمّ إذا توغّل فيها، وقضى وطرَه منها، فحينئذ تسمو نفسُه إلى المرتبة الثانية، وهي الاستسعاد باللذّات الخياليّة، وهي الرئاسةُ، ونفاذُ القولِ[١٠]، والأمرُ والنهيُ. فإذا توغّل فيها، ورُزق الوقوفَ على ما فيها من الآفات والبليّات، ترقّى منها إلى المرتبة العالية، وهي طلب اللذّات العقليّة، والاستسعاد بمعرفة هذه[١١] الأشياء بقدر الطاقة البشريّة.

ولمّا وقفتُ على هذا الضبط، فلا جرم رتّبنا[١٢] هذا الكتابَ على ثلاثة أقسام:

فأوّلها: في البحث عن حقائق اللذّات الحسيّة، [ل: ٢٤٥] وبيان ما فيها من الخيرات والآفات.

وثانيها: في البحث عن حقائق اللذّات[١٣] الخياليّة، وهي لذّة الرئاسة والنفاذ، وبيانِ ما فيها من جهات الخير والشرّ.

وثالثها: في البحث عن حقائق اللذّات العقليّة، وهي لذّة العلم والإحاطة بحقائق الأشياء، وبيانِ ما فيها من جهات الرغبة والنفرة.

ونسأل الله الكريمَ أن يطلعنا على حقائق الأشياء بقدر الطاقة البشريّة.

---

[٦] "اللذات العقلية وهي" سقطت من م.

[٧] "هي اللذات الحاصلة من الاستعلاء والرئاسة وأعلاها اللذات العقلية وهي اللذات" سقطت من س.

[٨] ل: معقول حسن.

[٩] س، م: فشعور.

[١٠] ل: الأمر لقول.

[١١] سقطت من م.

[١٢] س: رتبت.

[١٣] سقطت من س.

فالقسم الأوّل: الكلام في اللذّات الحسّيّة

اعلم أنّ مطالب [م: ١١١ب] الخلق من الأحوال المحسوسة محصورةٌ في نوعين. أحدهما دفعُ الألم، والثاني تحصيل اللذّة.

أمّا دفع الآلام[١٤] الحسيّة، فقد تَوَصَّلوا[١٥] إليه بطُرق. أحدها لبس الثياب؛ وذلك لأنّ جلد الإنسان جلدٌ ناعمٌ لطيفٌ، سريع التأثُّر من الحرّ والبرد؛ فاحتاج في دفع هذا النوع من الإيذاء إلى لبس الثياب. والتحقيق أنّ لبس الثوب[١٦] ضررٌ؛ لأنّه يصير حمّالاً لتلك[١٧] الثياب؛ وحمل الجسم الثقيل إتعابٌ للبدن. إلاّ أنّ لبس الثوب [س: ١٢٩أ] لمّا دفع تلك المضارّ العظيمة، صار ذلك الضررُ الحاصل من لبس الثوب دافعاً لضررٍ أعظم وأعلى منه[١٨]. فصار تحمُّلُ الضررِ القليل الذي يوجِب دفعَ الضررِ العظيم شبيهاً[١٩] لحصول[٢٠] الخير واللذّة والراحة. وفي الحقيقة، ليس الأمرُ إلاّ ما ذكرنا[٢١]، مِن أنّ حاصله يرجع إلى دفع الضرر الزائد بتحمّل الضرر الناقص.

و[٢٢] مثالُه ما يُحكى أنّ بعض الناس دخل على إبراهيم بن سيّار النظّام المتكلّم، فرآه و[٢٣] في يده قدحٌ من الدواء المرّ البشع الكريه[٢٤]، وكان يشقّ عليه

---

[١٤] ل، س: الالم.
[١٥] ل: يوصل.
[١٦] س: الثياب.
[١٧] ل: لذلك.
[١٨] س: منه وأعلى.
[١٩] س: سبباً.
[٢٠] م: بحصول.
[٢١] س: ذكرناه.
[٢٢] سقطت من ل.
[٢٣] سقطت من س، م.
[٢٤] س: فراه في يده من الدواء المر البشع الكريهة.

جدّاً[25] تناولُه. فسأله عن كيفيّة حاله. فقال: "أصبحتُ في دار بليّات، أدفع آفات بآفات". وهذا الذي قاله النظّامُ كلامٌ كلّيٌّ، و[26] ضابطٌ حَسَنٌ، وقانونٌ مطّرِدٌ في أحوالِ الدنيا.

والطريق الثاني من طرق دفع الآفاتِ بناءُ الدور والمساكن. والمقصود من بنائها أنّ الإنسان خُلِق في مرتعة الآفات وممرّ المخافات. [م: ١١٢أ] فإذا[27] بقي في الصحراء، بقي خائفاً على نفسه وماله وأولاده. فإذا بنى بناءً حصيناً محكَماً، و[28] دخل في تلك الدار، وغلّق على نفسه الأبوابَ، وبالغ في إحكامها، فحينئذ يبقى[29] آمناً من [ل: ٢٤٥] بعض الوجوه على نفسه وماله. فكان المقصودُ من بناء الأبنية والدور السعي في دفع الآفات، لا في جلب المنافع. فالملبس والمسكن وُضِعا[30] لدفع الآفة، لا لجلب المنفعة.

فأمّا الطرق الموصلة إلى تحصيل اللذّات، فهي محصورةٌ في قضاء شهوة البطن وقضاء شهوة[31] الفرج؛ وليس لهما ثالثٌ البتّة. ونحن ننبّهك على ما فيهما[32] من الدناءة والخساسة وسقوط الحال[33] والتشبّه بالبهائم الخسيسة.

وأقول، قبل الخوض[34] في بيان تلك التفاصيل: إنّ الخطباء والشعراء والفصحاء، إذا أرادوا الخوضَ في تحقير أمر الدنيا وبيان سقوطها ودناءتها، رجع[35] حاصلُ

---

[25] س: حدّه.
[26] سقطت من ل.
[27] ل: فلو.
[28] سقطت من ل.
[29] م: يكون.
[30] س: وضع.
[31] "قضاء شهوة" سقطت من س.
[32] س: فيها.
[33] س: حال. م: المروءة.
[34] ل: للخوض.
[35] م: يرجع.

كلامهم، بعد التطويلات العظيمة، إلى مقدّمات قليلة.

فأحدها أنهم يقولون: "إنها غير باقية، بل هي منقضيةٌ فانيةٌ. فوجب على العاقل[٣٦] أن لا يغترّ بها." واعلم أنّ هذا كالإشارة[٣٧] إلى أنها في نفسها طيّبةٌ لذيذةٌ؛ إلاّ أنها لمّا كانت سريعةَ الانقراض والانقضاء[٣٨]، وجب على العاقل الاحترازُ عنها[٣٩].

وثانيها أنهم[٤٠] قالوا: "إنّ طيّباتها ممزوجةٌ بالآلام[٤١]، وراحاتها مخلوطةٌ بالجراحات". وهذا أيضاً يدلّ على أنهم يعتقدون فيها أنها طيّباتٌ وسعاداتٌ، إلاّ أنها لمّا كانت [م: ٢١١ب] ممزوجةً بالآفات، مخلوطةً بالمخافات، وجب على العاقل الاحترازُ عنها.

وثالثها أنهم يقولون: "إنّ الأراذل من الناس قد [س: ١٢٩ب] يشارِكون الأفاضلَ في تلك اللذّات والراحات؛ بل الغالب أنّ الأراذل تزيد أحوالهم على أحوال[٤٢] الأفاضل في هذه الخيرات الحسّيّة واللذّات الجسدانيّة زيادةً فاحشةً عظيمةً؛ فوجب[٤٣] الاحترازُ عنها". وهذا أيضاً يدلّ على أنهم يعتقدون أنّ هذه اللذّات خيراتٌ وسعاداتٌ؛ إلاّ أنّ كونَ الأراذل مشارِكين للأفاضل فيها[٤٤] وزائدين عليهم في درجاتها ممّا يوجِب الفرارَ منها، لخسّة الشركاء[٤٥].

---

[٣٦] س: فوجب للعاقل.
[٣٧] س: كاشارة.
[٣٨] ل: الانقضاء والانقراض.
[٣٩] م: عن التعلّق بها.
[٤٠] سقطت من س.
[٤١] ل، س: الالم.
[٤٢] س: حال.
[٤٣] ل: يوجب.
[٤٤] س: فيها للأفاضل.
[٤٥] "لخسّة الشركاء" سقطت من س، ل.

فهذه مجامع من[٤٦] كلام الفصحاء والخطباء في تقبيح أحوال الدنيا. وهي بأسرها تدلّ على أنها في أنفسها طيّباتٌ وخيراتٌ، إلاّ أنّه يجب تركُها والإعراضُ عنها، لأجل أنّه يلزمها هذه اللوازم الثلاثة المكروهة[٤٧]. وأمّا الحكماء، فإنهم بيّنوا أنّ هذه الأحوال ليست في أنفسها سعاداتٍ [ل: ٢٤٧] ولا خيراتٍ، بل هي أحوالٌ خسيسةٌ ومطالب دنيئةٌ في ذواتها.

وإذا كان الأمر كذلك، وجب علينا أن نرتّب الكلامَ في هذا الباب على مقامين. أحدهما في بيان[٤٨] أنّ هذه الأحوال خسيسةٌ بحسب ماهيّاتها وذواتها. والثاني في بيان[٤٩] أنّ بتقدير كونها أحوالاً شريفةً، إلاّ أنها لا بُدّ وأن يلزمها لوازم مكروهةٌ.

أمّا المقام الأوّل، فنقول: في تقرير[٥٠] هذا المطلوب طريقان. أحدهما: أنّ هذه الأحوال التي يُظَنّ أنها لذّاتٌ، فهي في الحقيقة ليست بلذّات، وإنما حاصلها يرجع إلى دفع الآلام. الثاني[٥١]: بيانُ أنها، وإن كانت لذّاتٍ، إلاّ أنها [م: ١١٣أ] لذّاتٌ خسيسةٌ حقيرةٌ جدّاً.

أمّا النوع الأوّل من البيان، فتقريرُه من وجوهٍ.

الأوّل: إنّا رأينا أنّ[٥٢] الإنسان كلّما كان أكثر جوعاً وأشدّ احتياجاً إلى الأكل، كان التذاذُه[٥٣] بالأكل أتمّ؛ وكلّما كان عهدُه بالوقاع أطول، كان

---

[٤٦] سقطت من ل، م.
[٤٧] س: المكروهة الثلاثة.
[٤٨] "في بيان" سقطت من م.
[٤٩] م: وثانيهما بيان.
[٥٠] س: تقدير.
[٥١] س: الآم والثاني.
[٥٢] سقطت من ل، م.
[٥٣] ل: الالتذاذ.

التذاذُه[٥٤] به أكملَ. ولا شكّ أنّ الجوعَ ألمٌ[٥٥] شديدٌ. وأيضاً، الاحتياج الشديد إلى الوقاع ألمٌ. فلمّا رأينا أنّه كلّما كانت هذه الآلامُ أشدّ وأشقّ، كان دفعها[٥٦] ألذّ وأطيب، غلَب على الظنّ أنّه لا معنى لهذه اللذّات والراحات إلاّ مجرّد دفع تلك الآلام السابقة[٥٧].

ألا ترى أنّ مَن جلَسَ في الحمّام الحارّ، وغلب استيلاءُ تلك الحرارة عليه، فإذا فتَح البابَ، ودخل من[٥٨] ذلك الباب نسيمٌ باردٌ، فإنّ[٥٩] ذلك الإنسان يستلذّ بذلك[٦٠] الهواء البارد استلذاذاً[٦١] في الغاية! وإذا أكل طعاماً غليظاً وعطش جداً، فإذا شرب الماءَ المبرّدَ بالثلج، فإنّه يجد منه لذّةً عظيمةً كاملةً! وما ذاك إلاّ لأنّه[٦٢] عَظُمَ تألّمُه بسبب الهواء الحارّ الذي في[٦٣] الحمام، وعَظُمَ تألّمُه بسبب أكل ذلك الطعام الغليظ. فلمّا وصل إليه الهواءُ البارد، زال عنه [س: ١٣٠أ] تلك الحرارةُ المؤلمة. ولمّا شرب الماءَ البارد، زال عنه ذلك العطشُ المؤلم. فبقدر[٦٤] الضرر الحاصل من تلك الحرارة تحصل اللذّةُ بسبب استنشاقِ ذلك الهواء البارد وشُربِ ذلك الماء البارد.

فعَلِمنا أنّه لا حاصل لهذه اللذّات الحسّيّة إلاّ دفع هذه الآلام والأوجاع. وذلك

---

[٥٤] ل: الالتذاذ.
[٥٥] ل: ألم الجوع.
[٥٦] ل: كان هذا الألم ... كان دفعه.
[٥٧] ل: تلك الالم السابق.
[٥٨] ل: في.
[٥٩] ل: كان.
[٦٠] ل، م: ذلك.
[٦١] سقطت من س.
[٦٢] س، م: انه.
[٦٣] م: الحارة في.
[٦٤] م: فبتضرّر.

يدلّ على أنّ هذه[٦٥] الأحوال التي نتخيّل أنها لذّاتٌ، فهي في أنفسها ليست لذّاتٍ، بل لا [م: ١١٣ب] حاصل لها إلاّ دفع الآلام والأوجاع. بل نقول: الإنسان إذا أراد قضاءَ الحاجة من البول والغائط، فربما تعذَّر عليه ذلك[٦٦] لأسبابٍ اتّفاقيّة[٦٧] من خارج؛ وحينئذ[٦٨] يعظم ألمُه[٦٩] بسبب [ل: ٢٤٨] إمساك تلك الفضلاتٍ. ثمّ بعد تلكَ[٧٠] الآلام الشديدة، إذا قدر على دفعها، وَجَد لذّةً عظيمةً[٧١] وراحةً كاملةً. وكلّما كان تألّمُه بسبب إمساكها أشدَّ، كان التذاذُه بدفعها أكمل؛ حتى أنّ كثيراً من الناس قالوا: "هذه اللذّة أقوى من لذّة الأكل والشرب والبعال[٧٢]". وذلك يدلّ على أنّه لا حاصل لهذه اللذّات إلاّ دفع الآلام.

الوجه الثاني في بيان المطلوب الذي ذكرناه أنّ من المعلوم بالبديهة أنّه كلّما كانت[٧٣] شهوة الفوز[٧٤] بالشيء أقوى وأكمل، كانت اللذّةُ الحاصلة بسبب وجدانه أقوى وأكمل[٧٥]. فإن لم تحصل تلك الشهوة، لم تحصل اللذّةُ بسبب وجدانه البتّة[٧٦].

ألا ترى أنّ مَن رمى قلادةً مِن[٧٧] الدرّ الثمين[٧٨] إلى كلبٍ، ورمى عظماً إلى

---

[٦٥] سقطت من س.
[٦٦] ل: ذلك عليه.
[٦٧] س: للأسباب العايقة.
[٦٨] س: فحينئذ.
[٦٩] ل:ألم.
[٧٠] س: ذلك.
[٧١] سقطت من ل.
[٧٢] س: الفعال. والبعال: النكاح.
[٧٣] ل، م: كان.
[٧٤] س: القوم.
[٧٥] س: وجدانه أتم.
[٧٦] "فإن لم تحصل تلك الشهوة لم تحصل اللذة بسبب وجدانه البتة" ساقطة من س.
[٧٧] سقطت من م.
[٧٨] سقطت من س.

إنسان، فإنّه لا تحصل اللذّةُ لواحد منهما؛ لأنّ الكلب لا يشتهي الدرَّ، والإنسانَ لا يشتهي العظمَ. أمّا لو قَلَبتَ القضيّةَ[٧٩]، ورميتَ القلادة من الدرّ[٨٠] إلى الإنسان، عظم فرحُه بها وعظمت لذّتُه لوجدانها[٨١]. ولو رَميتَ العظمَ إلى الكلب[٨٢]، عظم فرحُه بوجدانه. فثبت أنّه[٨٣] كلّما كانت الحاجةُ إلى الشيء[٨٤] أشدّ، وكانت شهوةُ وجدانه أتمّ وأكمل، كان الفوزُ به ألذّ. وإذا ثبت هذا، فمقدار[٨٥] اللذّة الحاصلة في الحال مساويةٌ لمقدار المضرّة الحاصلة بسبب الاحتياج إليه في الماضي. وإذا كان الأمرُ كذلك، فحينئذ تتقابل اللذّةُ الحاصلة في الحال بالألم الحاصل في الماضي. وإذا تقابلا، تساقطا، وصار كأنّه لم يوجد البتّة. مثالُه أنّ من مزّق بطنَ [م: ١١٤أ] إنسان، ثمّ أخذ يعالجه بالخياطة ووضع المراهم عليها، فإنّ ذلك لا يُعدّ لذّةً ولا سعادةً، بل يُعدّ مثلُ هذا الفعل جارياً مَجرى العَبث. فكذلك[٨٦] ها هنا.

الوجه الثالث في بيان أنّ هذه اللذّات الحسّيّة خسيسةٌ جداً؛ وذلك أنها[٨٧] بأسرها لا تحصل إلاّ بواسطة مخامَرَة[٨٨] رطوبات عفنة منتنة مستحيلة مستقذَرة[٨٩]. أمّا لذّة الأكل، [س: ١٣٠ب] فالأمر[٩٠] فيها ظاهرٌ. لأنّ الإنسان لا يلتذّ بالطعام، إلاّ إذا وَضعه في فمه. ولا شكّ أنّ ذلك الطعام في تلك الساعة يمتزج بريق الفم ويختلط به؛ ولا شكّ أنّه في نفسه شيءٌ مستقذَرٌ.

---

[٧٩] ل: القصة.

[٨٠] "من الدر" سقطت من س، م.

[٨١] س، م: بوجدانها.

[٨٢] م: كلب.

[٨٣] س: ان.

[٨٤] س: شيء.

[٨٥] م: ثبت أن مقدار.

[٨٦] م: فكذا.

[٨٧] ل: لانها.

[٨٨] ل: مجاورة.

[٨٩] س: الرطوبات العفنة المنتنة المستحيلة المستقذَرة.

[٩٠] ل: فالألم.

والدليل عليه أنّ تلك اللقمة الممضوغة لو سقطت من الفم، فإنّ الإنسان يستقذرها، ولا يمكنه أن يردّها [ل: ٢٤٩] إلى فمه. وذلك يدلّ على أنّ اللذّة الحاصلة من الطعام لا تحصل إلاّ عند انعجان ذلك الطعام واختلاط أجزائه بتلك الرطوبات الفاسدة المستقذَرة.

وأيضاً، إنّ الإنسان إذا تناول الأطعمةَ المختلفة، وشربَ عليها الماءَ والفُقّاع[٩١]، فإنّه تختلط[٩٢] تلك الأشياءُ بعضها بالبعض[٩٣] في المعدة، وكانت المعدةُ محتويةً قبل وصول[٩٤] الطعام إليها[٩٥] على أجزاءٍ كثيرةٍ من الصفراء والسوداء والبلغم، فيحصل في المعدة جسمٌ ثخينٌ من اختلاط تلك المطعومات والمشروبات ومن اختلاط السوداء والصفراء والبلغم بها. ولا شكّ أنّه جسمٌ في غاية الاستقذار والعفونة[٩٦].

وكذلك، فإنّ[٩٧] الإنسان إذا قاء، فإنّ ذلك القيء[٩٨] يكون في غاية الاستقذار[٩٩]. والشبع التامّ لا يحصل إلاّ عند احتواء المعدة على هذا الجسم[١٠٠]. فثبت أنّ اللذّة الحاصلة عند الأكل لا تحصل إلاّ عند اختلاط أجزاء[١٠١] الطعام [م: ١١٤ب] بالبُزاق والمخاط، وأنّ اللذّة الحاصلة عند الشبع لا تحصل إلاّ عند احتواء المعدة على ذلك الجسم المستقذَر المستخبَث.

---

[٩١] الفقّاع شرابٌ يتّخذ من الشعير، سمي به لما يعلوه من الزبد.
[٩٢] م: ثم اختلط.
[٩٣] س: ببعض.
[٩٤] م: حلول.
[٩٥] "قبل وصول الطعام إليها" ساقطة من ل.
[٩٦] ل: في العفونة.
[٩٧] م: فلذلك إن.
[٩٨] سقطت من م.
[٩٩] "وكذلك فإن الإنسان ... الاستقذار" ساقطة من ل.
[١٠٠] في م زيادة: المستقذر.
[١٠١] س: الأجزاء من.

فثبت بهذه البيانات أنّ هذه اللذّات الحسّيّة لا تحصل إلاّ عند مخامَرَة الرطوبات العفنة القذرة. وذلك يدلّ على أنّ هذه اللذّة في غاية الخساسة[١٠٢]، وأنّ العاقل إنما يُقدِم على الأكل، لا لأجل أنّه يعدّه سعادةً وبهجةً، بل[١٠٣] لأجل أنّه خُلِق محتاجاً إليه. ولولا الاحتياج إليه، لما أَقدم عليه. ورأيتُ أنّ عبد القاهر النحويّ أنشأ هذا البيت:

لولا قضاءٌ جرى نَزَّهتُ أنمَلَتي عن[١٠٤] أن تُلِمّ بمأكولٍ ومشروبِ[١٠٥]

وأمّا لذّة الوقاع، فخساستها أظهر من أن تحتاج إلى البيان. والذي يدلّ عليه أنّ أخسّ أعضاء الإنسان هو هذه الأعضاء المخصوصة. ولذلك، فإنّ طبائعَ جميع الخلق[١٠٦] وبدائهَ عقولهم تحملُهم على سترِ هذه الأعضاء وإخفائها عن عيون الناظرين؛ حتى[١٠٧] أنّ جماعةَ الهنود والزنوج الذين جرت عادتهم بأنهم لا يلبسون الثيابَ، و[١٠٨] يطوفون عراةً في الأسواق، فإنهم يستُرون هذه الأعضاء. وذلك يدلّ على[١٠٩] شهادة العقول بأنّ هذه الأعضاء أخسّ [س: ١٣١أ] أعضاء الإنسان.

ثمّ إنّ لذّة المواقَعة[١١٠] لا تتمّ إلاّ بمماسّة هذه الأعضاء. وأيضاً[١١١]، فهذه المماسّة لا تفيد اللذّة إلاّ عند التلطّخ بتلك الرطوبات المتولّدة في داخل تلك الأعضاء. وتمام اللذّة [ل: ٢٥٠] إنما يحصل بانفصال النطفة؛ وهي أيضاً رطوبةٌ عفنةٌ

---

[١٠٢] ل: للخساسة.
[١٠٣] س: لكن.
[١٠٤] ل: من.
[١٠٥] من البحر البسيط.
[١٠٦] ل: الخلايق.
[١٠٧] س: حُكي.
[١٠٨] سقطت من س.
[١٠٩] في م زيادة: أن.
[١١٠] س: اللذة الموافقة.
[١١١] سقطت من م.

قذرةٌ خسيسةٌ. وكلّ ذلك يدلّ على أنّ هذه اللذّات لا تحصل إلاّ بالتلطّخ بهذه الرطوبات العفنة القذرة الخسيسة[١١٢]. وذلك يدلّ على[١١٣] أنها [م: ١١٥أ] ليست من جنس الخيرات واللذّات والسعادات. بل الإنسان يصير كالملجأ إليها والمضطرّ إلى مباشرتها. فإذا دَفَع تلك[١١٤] الآلام والأوجاع، تخلّصَ منها واستراح، بسبب إزالة تلك[١١٥] المؤذيات؛ فيظنّ أنها لذّاتٌ وخيراتٌ[١١٦].

وممّا يدلّ عليه أنّ الرجل إذا احتُبِس في موضع لا يمكنه القيامُ إلى الخلاء، وصار مضطرّاً إليه، وأنّه بالتكلّف الشديد يمسك الطَّبيعةَ، فإنّه يقع في مشقّة شديدة وبلاء عظيم. فإذا تمكّن من الذهاب إلى الخلاء، وقدر على دفع تلك الخبائث، وجد لذّةً عظيمةً عند دفعها وإرسالها. ومعلومٌ أنّه لا معنى لتلك اللذّة إلاّ إزالة تلك المؤلمات. فكذا ها هنا. فثبت أنّ هذه الأحوال إمّا أن لا تكون لذّاتٍ، أو[١١٧] إن كانت لذّاتٍ، فهي في غاية الخساسة ونهاية القذارة.

و[١١٨] **الوجهُ الرابع** في بيان خساسة هذه الأحوال: الاستقراء الدالّ على إطباق جميع العقلاء على هذه المقدّمة. أمّا إطباقهم[١١٩] على تحقير لذّة الأكل؛ وذلك لأنهم إذا شاهدوا إنساناً كثيرَ الأكل عظيم الرغبة في اللقمة، استحقروه ونظروا[١٢٠] إليه بعين الإزراء والإهانة، وحكموا عليه بالبهيميّة. ولذلك قالوا: "البطنة تُذهِب الفطنةَ". ولو علموا أنّ إنساناً صفتُه أنّه جعل أيّامَه وأوقاته مقصورةً على إعداد

---

[١١٢] م: الخسيسة القذرة.
[١١٣] "يدل على" سقطت من س.
[١١٤] ل: ذلك.
[١١٥] ل: ذلك.
[١١٦] م: خيرات ولذات.
[١١٧] س: و.
[١١٨] سقطت في س.
[١١٩] "على هذه المقدّمة أمّا إطباقهم" سقطت من م.
[١٢٠] س: نظروه.

المأكولات والمشروبات، فإنهم يستحقرونه ويذمّونه[121] ولا يقيمون له وزناً البتّة. أمّا إذا اعتقدوا في إنسانٍ أنّه يقلّل من الأكل والشرب، وأنّه لا يَلتفت إليه ولا يقيم له وزناً، فإنهم يعظّمونه وينقادون له ويعتقدون فيه أنّه من زمرة الملائكة. وهذا يدلّ على أنّ فطرة جميع الخلق شاهدةٌ بأنّ هذه الأحوال خسيسةٌ.

وأمّا إطباقهم على تحقير لذّة الوقاع، فمن وجوهٍ[122]. [م: ١١٥ب]

الأوّل: إطباق الكلّ على أنّ الألفاظ الدالّة على أحوال الوقاع يجعلونه من أعظم[123] أنواع الشتم والإهانة والإيذاء. وذلك يدلّ على إطباقهم [ل: ٢٥١] على تحقير شأن هذه اللذّات.

والثاني[124]: إنّ كلّ عاقلٍ، فإنّه[125] يستحيي من الإقدام على الوقاع[126] بحضور الناس، بل يسعى في إخفائه وتبعيده [س: ١٣١ب] عن أعين الناس. والعاقل إنما يستحيي من إظهار الفعل القبيح، ولا يستحيي من إظهار الفعل[127] الحسن. فإطباقُهم على إخفائه يدلّ على كونهم مطبقين على أنّه من الأفعال القبيحة. فثبت بما ذكرنا[128] إطباقُ العقلاء على أنّ لذّات[129] الأكل والوقاع أحوالٌ خسيسةٌ حقيرةٌ لا يُلتفَت إليها البتّة.

الوجه الخامس في بيان خساسة هذه الأحوال أن نقول: أمّا اللذّة الحاصلة عند الأكل، فهي لذّةٌ ضعيفةٌ جداً. وكمالها إنما يحصل[130] في اللقمة الأولى والثانية عند

---

[121] س: يستحقروه ويذموه.

[122] م: وجهين.

[123] ساقطة من س.

[124] سقطت من س.

[125] سقطت من ل.

[126] "على الوقاع" ساقطة من س.

[127] ساقطة من م.

[128] في ل زيادة: أن.

[129] ل: لذة.

[130] ل: أنها تحصل.

حصول الجوع الشديد. فإذا فتَر الجوعُ، قلّت[١٣١] الرغبةُ؛ فضَعُف الالتذاذُ بالأكل. فثبت أنّ زمان حصول[١٣٢] هذه اللذّة زمانٌ قليلٌ.

ولذلك فإنّ[١٣٣] الناس يقولون: "إنّ الله تعالى رَفَع اللذّةَ عن أطعمة الأغنياء، وأودعها في أطعمة الفقراء". والسبب فيه أنّ الأغنياء لا يشتدّ جوعهم ولا تكمل حاجتهم؛ فلا جرم يقلّ التذاذهم بالطعام. وأمّا الفقراء فإنّه تشتدّ[١٣٤] حاجتُهم ويقوى جوعُهم؛ فلذلك يعظم التذاذهم بتناول تلك الأطعمة. وإذ قد[١٣٥] عرفتَ هذا، فنقول: اللذّة الحاصلة بالأكل حقيرةٌ من وجوه:

الأوّل أنّ هذه اللذّة لا تحصل[١٣٦] إلاّ في أوائل الأكل عند قيام الجوع الشديد والحاجة القويّة. فإذا ضعف الجوعُ، وقلّت الحاجةُ، ضعفت اللذّةُ.

الثاني أنّ [م: ١١٦أ] موضع حصول هذه اللذّة ليس إلاّ سطح الفم. فإذا انحدر منه إلى المريء، سقطت اللذّةُ.

و[١٣٧] الثالث أنّ لذّة الأكل في نوعها ليست حالةً قاهرةً، بل هي لذّةٌ ضعيفةٌ. فثبت أنّ هذه اللذّة حقيرةٌ من هذه الجهات[١٣٨].

وأمّا لذّة[١٣٩] الوقاع، فهي حقيرةٌ من وجوه. الأوّل[١٤٠] أنّ هذه اللذّة لا تحصل إلاّ في وقت الإنزال وانفصال النطفة. وأمّا[١٤١] الأحوال[١٤٢] السابقة على هذه

---

[١٣١] ل: وقلت. م: فاتت.
[١٣٢] ساقطة من س.
[١٣٣] س: ان.
[١٣٤] ل: فتشتد.
[١٣٥] س، م: واذا.
[١٣٦] م: تكمل.
[١٣٧] سقطت من س، م.
[١٣٨] ل: للجهات.
[١٣٩] سقطت من م.
[١٤٠] م: أولها.
[١٤١] م: فأما.
[١٤٢] س: احوال.

الحالة، فهي حركاتٌ متعبةٌ[١٤٣]. وأمّا الأحوال الحاصلة بعد هذه الحالة، فهي ضعفُ القلب، وخفقان الفؤاد، واستيلاء العفونة على كلّ البدن. وبالجملة، فالأحوال السابقة والأحوال المستقبلة كلّها منفِّرةٌ متعبةٌ. فأمّا [ل: ٢٥٢] الحالة[١٤٤] المطلوبة، فما هي إلاّ الحالة التي يحصل فيها الإنزالُ؛ وهي حالةٌ سريعةُ الانقراضِ والانقضاء، كأنها الآنُ الذي لا يَنقسم. فثبت بما ذكرنا أنّ هاتين اللذّتين ضعيفتان[١٤٥] جدّاً.

وأمّا الآلام البدنيّة الحاصلة، فالأمر فيها بالعكس. وذلك لأنّ موضع اللذّتين ليس إلاّ العضوان المعيّنان؛ أمّا موضع الألم، فكلّ واحد من الأعضاء فهو قابلٌ لأعظم الآلام. فمنها الصداع القويّ، والشقيقة الشديدة[١٤٦]، ومنها أوجاع العين والأذن [س: ١٣٢أ] والسنّ، ومنها السرطانات الواقعة المهلكة في الأعضاء المختلفة، ومنها أوجاع القولنج، ومنها البواسير، ومنها أسر البول[١٤٧]، ومنها أوجاع الكلية. فظهر[١٤٨] بما ذكرنا أنّ جميع الأعضاء مستعدّةٌ[١٤٩] لقبول هذه الآلام، وليس جميعُ الأعضاء قابلةً لحصول اللذّات.

وأيضاً، فهذه الآلام قاهرةٌ قويّةٌ مستعليةٌ. وقد تبلغ [م: ١١٦ب] في القوّة إلى حيث توجب الموتَ. وأيضاً، فقد تدوم – والعياذ بالله — أيّاماً ولياليَ. وأمّا لذّات[١٥٠] الأكل والشرب، فهي سريعة الانقضاء والانقراض.

فثبت أنّ جانب المحن والآفات[١٥١] في هذه الآلام الجسمانيّة غالبةٌ على اللذّات

---

[١٤٣] م: متعقّبة.

[١٤٤] م: الأحوال.

[١٤٥] س: هذين اللذتين ضعيفان.

[١٤٦] سقطت من م.

[١٤٧] س: ومنها عسر البول ومنها البواسير. م: ومنها أسر البول ومنها البواسير.

[١٤٨] س: وظهر.

[١٤٩] م: مشعرة.

[١٥٠] م: لذة.

[١٥١] س: والالافات.

الجسمانيّة. نعم، الغالب على الخلق هو السلامة من[١٥٢] هذه الآفات! إلاّ إنّ السلامة عنها[١٥٣] غيرٌ، وحصول اللذّة غيرٌ. ونحن ندّعي أنّ جانب الألم أقوى من جانب اللذّة في الكيفيّة والكمّيّة والمحلّ. أمّا[١٥٤] جانب السلامة، فإنّه أزيد من جانب الألم.

فثبت بما ذكرنا أنّ هذه اللذّات قليلةٌ مستحقَرةٌ بالنسبة إلى الآفات.

الوجه[١٥٥] السادس في بيان أنّ[١٥٦] هذه اللذّات حقيرةٌ جدّاً: وذلك أنّ[١٥٧] اللذّات الجسمانيّة المرغوب فيها كثيرةٌ جدّاً، والحاصل ها هنا[١٥٨] منها ليس إلاّ القليل القليل[١٥٩]؛ وذلك يوجِب التعبَ الشديد. أمّا بيان أنّ الموجِب لها كثيرٌ أن نقول: إنّ الإنسان يُبصِر بعينه جميعَ ما في هذا[١٦٠] العالم من المحسوسات[١٦١]؛ وإذا أبصر شيئاً، فقد يَميل طبعُه إليه؛ فيصير ذلك سبباً لاشتداد رغبته في تحصيله.

مثاله إذا رأى فرساً جواداً[١٦٢]، فإنّه كما رآه[١٦٣] مال طبعُه إليه. وإذا رأى ثوباً حسناً، مال طبعُه إليه. وكذلك القول في جميع مبصَرات هذا العالم. ومعلومٌ أنّ البصر عضوٌ [ل: ٢٥٣] دَوّارٌ على أكثر موجودات هذا العالم. وأمّا القوّة

---

[١٥٢] م، س: عن.
[١٥٣] سقطت من م.
[١٥٤] س: واما.
[١٥٥] ل: والوجه.
[١٥٦] ساقطة من س.
[١٥٧] م: لأن.
[١٥٨] "ها هنا" ساقطة من س، م.
[١٥٩] ساقطة من ل.
[١٦٠] سقطت من م.
[١٦١] م: في العالم من المبصرات.
[١٦٢] ل: جودا.
[١٦٣] كذا في ل، م. "كما رآه" ساقطة من س.

السامعة، فكذلك؛ لأنّه[١٦٤] إذا سمع أنّ الرجل الفلانيّ فاز بالدولة والرفعة، مال طبعه إلى تحصيلها. فإذا لم يقدر على الفوز به، تأذّى وتألّم قلبُه. وإذا سمع بأنّ[١٦٥] الرجل الفلانيّ ذَكَره[١٦٦] بالسوء والقبيح، تألّم قلبُه.

وبالجملة، فالقلب [م: ١١٧أ] يجري مجرى مرآة منصوبة على جدارٍ، وكان ذلك الجدار ممرّاً لأكثر موجودات[١٦٧] هذا العالم. فكلّما[١٦٨] مرّ به شيءٌ، ظهر[١٦٩] من ذلك الشيء فيه أثرٌ. فإن كان موافقاً له[١٧٠]، مال طبعُه إليه. وإن[١٧١] لم يقدر على تحصيله، تألّم قلبُه. وإن نفر طبعُه عنه، و لم يقدر على دفعه، تألّم قلبُه. فثبت بهذا الطريق أنّ قلبه لا بدّ وأن يكون مستغرقاً أبداً في الآلام والهموم والغموم. وأمّا الفرح، فذاك إنما يحصل إذا حصَّل المطلوبَ ودَفَع [س: ١٣٢ب] المكروهَ. وذلك[١٧٢] قليلٌ قليلٌ، في جنب كثيرٍ كثيرٍ.

فثبت أنّ الغالب على أهل هذا العالم هو الغموم والهموم[١٧٣] والأحزان. وأمّا اللذّة والخير[١٧٤]، فقليلةٌ جداً. ومن المعلوم أنّ النادر في[١٧٥] جنب الراجح، كالمعدوم

---

١٦٤ سقطت من م.
١٦٥ م: أن.
١٦٦ ل: ذكر.
١٦٧ م: الموجودات.
١٦٨ م: وكلما.
١٦٩ س: فيظهر.
١٧٠ سقطت من م.
١٧١ س، م: فان.
١٧٢ س: وذاك.
١٧٣ س، م: الهموم والغموم.
١٧٤ ساقطة من س.
١٧٥ "حكم" زائدة في ل.

بالنسبة إلى الموجود. فثبت أنّ الغالب على أحوال[١٧٦] هذا العالم إنما هو الشرور والآفات. والله أعلم[١٧٧].

القسم الثاني: الكلام في اللذّات الخياليّة، وهي لذّة الرئاسة والجاه[١٧٨]

واعلم أنّ الكلام في التنبيه على قبائحها[١٧٩] من وجهين. الأوّل[١٨٠] أن نبيّن أنها لا تحصل إلاّ بتحمّل المتاعب العظيمة والمشاقّ غير المتناهية[١٨١]. والثاني أن نبيّن أنها في نفسها[١٨٢] ليست من المطالب الشريفة العالية، بل من المطالب الخسيسة الواهية[١٨٣].

الفصل الأول: في بيان أنّ هذا المطلوب يمتنع خلوُّه عن[١٨٤] الآفات والمتاعب، وبيانه من وجوه.

الأوّل: أنّ كلّ أحد يحبّ أن يكون هو الرئيس للغير، وأن يكون كلّ ما[١٨٥] سواه تحت قدرته وتحتً[١٨٦] تصرّفه وحُكمه. وذلك لأنّ كون الإنسان قادراً على

---

[١٧٦] م: أهل.
[١٧٧] "والله أعلم" ساقطة من س.
[١٧٨] ساقطة من س، م.
[١٧٩] م: قبحها.
[١٨٠] م: أحدهما.
[١٨١] س، م: الغير المتناهية. و"الغير" سقطت من ل.
[١٨٢] ل: أنفسها.
[١٨٣] سقطت من س، م.
[١٨٤] م: من.
[١٨٥] م: من.
[١٨٦] سقطت من ل.

الغير، نافذَ التصرّف فيه، صفةُ كمال؛ وصفة الكمال محبوبةٌ لذاتها. وكونه[١٨٧] مقدوراً للغير، ومحلاً[١٨٨] لتصرّف الغير، صفةُ[١٨٩] [م: ١١٧ب] نقص؛ وصفة النقص مبغوضةٌ لذاتها. فثبت أنّ طبع[١٩٠] كلّ أحد يحملُه على[١٩١] أن يكون هو الرئيس لغيره والمتصرّف[١٩٢] [ل: ٢٥٤] في غيره، وأن يمنع غيرَه من أن يكون رئيساً له[١٩٣] وحاكماً عليه. وإذا كان كذلك، فالساعي في تحصيل الرئاسة لذلك الإنسان المعيّن، ليس إلاّ ذلك الإنسان. وأمّا كلّ مَن سواه، فإنهم يسعون في إبطال تلك الرئاسة وفي إعدامها. وإذا كان كذلك، فذلك الإنسانُ الواحد هو الساعي في حصول تلك الرئاسة له[١٩٤]؛ وأمّا جميع الخلق من أهل المشرق والمغرب، فكلّهم يسعون في إبطالها ودفعها وإعدامها. وإذا كان كذلك، كان الساعي[١٩٥] في تحصيل هذا المطلوب في غاية القلّة، لأنّه لا أقلّ من الواحد؛ والساعي في إبطاله ودفعه في غاية الكثرة، لأنّه ثبت أنّ كلّ مَن سوى ذلك الواحد، فهو يدفع عن[١٩٦] تلك الرئاسة ويُبطِل ذلك التقدّمَ.

والمطلوب الذي يَقلُّ الساعي في تحصيله، ويَكثر الساعي في إبطاله، يكون صعبَ الحصول جدّاً. وكلّ ما كان كذلك، كان السعي[١٩٧] في طلبه منشأَ الغموم

---

[١٨٧] م: كونها.
[١٨٨] س: محلّاً.
[١٨٩] سقطت من ل.
[١٩٠] سقطت من س.
[١٩١] سقطت من س.
[١٩٢] س، م: وهو المتصرف.
[١٩٣] سقطت من م.
[١٩٤] سقطت من س.
[١٩٥] في ل كلمة فوق السطر غير واضحة، كأنها "السعي".
[١٩٦] سقطت من ل، م.
[١٩٧] س: الساعي.